

لغتنا العربية في معركة الحضارة

أ. ليلي سهل

ج. محمد خيضر بسكرة

الملخص

جاءت هذه الدراسة لتوضح قضية العربية في رهانها وتحديها للحضارة العالمية، والذي يستدعي منا التعمق في بسط المسألة، فكان لابد أن تتبوأ المسألة اللغوية الخاصة باللغة العربية منزلة الصدارة في اهتماماتنا الفكرية خاصة، ونحن نجد شعور بعض المثقفين بأن اللغة الأجنبية لغة أهل الحضارة والتقدم، يجعلهم يلجؤون إلى تطعيم حديثهم بأسماء وتعبيرات أجنبية، كدليل من وجهة نظرهم على علو كعبهم في العلم، وسمو ثقافتهم، وما ذلك إلا لونا من التلوث اللغوي الذي انتشر بين كثير من المتعلمين. لذا يجب الحفاظ على ذاتنا لا الانغلاق عليها، كما سيفهم الكثيرون. والحفاظ على الذات يتطلب معرفتها وفهمها، فسنجد أنفسنا مرغمين على احترامها وتقديرها حق قدرها. فاللغة العربية لغة وعي وشهادة ينبغي إنقاذها سليمة بأي ثمن.



RÉSUMÉ:

Cette étude est venu d'expliquer la cause arabe et la raison d'espérer, au mépris de la civilisation mondiale et qui exige la poursuite de l'extension de la question, nous devons donc prendre la question de la langue de l'état de la langue arabe dans notre chef de file intellectuel, d'autant que nous de trouver un sens, que les intellectuels de la langue étrangère la langue de la population de la civilisation et les progrès abri S'exprimant pour la vaccination des noms et des éléments de preuve des expressions étrangères de leur point de vue à haute ils augmentation de la science, la culture et HH ne sorte de pollution linguistique qui s'est répandue parmi de nombreuses personnes instruites. Doivent donc maintenir le blocage par nous-mêmes non pas comme beaucoup de gens vont comprendre et conserver les caractéristiques requises pour la connaissance de soi et de compréhension, Fsnjdna l'obligation de respecter et de l'appréciation de la langue arabe la langue de sensibilisation doivent être enregistrés et un certificat valable à n'importe quel prix.

تعدّ اللّغة أفضل السبل لمعرفة شخصية أمّتنا وخصائصها، وهي الأداة التي سجّلت منذ أبعد العهود أفكارنا وأحاسيسنا، وهي البيئة الفكرية التي نعيش فيها، وحلقة الوصل التي تربط الماضي بالحاضر وبالمستقبل. إنّها تمثّل خصائص اللّغة تقوى إذا قويت وتضعف إذا ضعفت.



حيث تشكّل المحور الأساسي لنقل المعلومات باختلاف أنواعها وتشعّب مجالاتها. فالفعل الإنساني يفكر باللغة ويترجم أفكاره إلى اللغة، والنشاط الإنساني بأسره لا تقوم له قائمة بدون اللغة. ولقد استحدثت لنفسها في ظلّ الكمبيوتر والمعلوماتية أدواراً جديدة بجوار دورها الاقتصادي والسياسي والمصرفي. فاللغة تسهم بدور أساسي في الأفكار المحورية للغات البرمجة، وتعدّ عنصراً جوهرياً في ما يطرح على ساحة الذكاء الاصطناعي، حيث ينتظر أن تقوم بدور الوسيط في الحوار بين الإنسان والآلة. وإذا انتقلنا إلى الحديث عن دور كل لغة في مسألة المعلوماتية والمعالجة بالكمبيوتر، فذلك سيرتبط بالعلومة وتأثيراتها على اللغة، فهي من أفضل السبل لمعرفة شخصية أمتنا وخصائصها، وهي الأداة التي سجّلت منذ أبعد العهود أفكارنا وأحاسيسنا، وهي البيئة الفكرية التي نعيش فيها، وحلقة الوصل التي تربط الماضي بالحاضر والمستقبل. إنّها تمثّل خصائص اللغة تقوى إذا قويت وتضعف إذا ضعفت.

وإنّ مستقبل اللغة العربية يرتبط باستخدامها المتزايد والجاد في شبكات المعلومات العالمية، وإنّ هذا يتطلب جهوداً كثيرة على المستوى اللغوي، وعلى مستوى تقانات المعلومات، وعلى مستوى دراسة المستفيدين، حتى نجد الجامعات والوزارات والمجامع في الدول العربية، تتعامل باللغة العربية، ممّا يشكل أحد تحديات المستقبل القريب، لتكون العربية مع اللغات



العالمية الحية وسيلةً لنقل المعلومات بالتقانات المتقدمة، كما يتطلب أن تصبح اللغة العربية لغةً منتجةً للعلم، لتتبوأ المكانة الرفيعة بين لغات العالم، فقد كانت في عصور ازدهار الحضارة الإسلامية لغة للعلم بمدلوله الدقيق الشامل، ارتقت إلى الذروة، وحازت قصب السبق بين اللغات العالمية، حتى صار طالب العلم من أيّ ملّة أو عرق، يتّخذ من العربية وسيلة لاكتساب العلوم والإحاطة بها والتبحر فيها. لهذا كله أردت في هذه الدراسة أن أشير إلى: اللغة العربية ومكانتها بين اللغات العالمية، وأهمّ تحدياتها، لتتبوأ المكانة الرفيعة بين لغات العالم.

فاللغة "هي أساس وحدة اللغة ومستودع حضارتها ومرآة فكرها، فهي نشاط الفكر وصداه الذي يتردد في آفاق المجتمع ورحاب النفس، وهي القدر المشترك من الحياة النفسية بين أبناء اللغة الواحدة، في إطارها يتمّ تفاعل الأفكار، وفي نظام رموزها يتمّ التعبير عن التنظيم الكامل لحياة الحضارات وأنماط أفكارها".¹ وهي "وعاء للثقافة والثقافة أساس الحضارة، والحضارة ترجمة الهوية. فاللغة من أهمّ الأركان التي تعتمد عليها الحضارات ومن أهمّ العوامل التي تساهم في تشكيل هوية اللغة، وكلّما كانت اللغة أكثر اتصالاً بثقافة الشعوب كانت أقدر على تشكيل هوية اللغة".² فلقد غدت العربية لغة تحمل رسالة إنسانية بمفاهيمها وأفكارها، واستطاعت أن تكون لغة حضارة إنسانية واسعة، اشتركت فيها أمم شتى. فإنّ العرب



نواتها الأساسية والموجهين لسفينتها، اعتبروها لغة حضارتهم وثقافتهم، فاستطاعت أن تكون لغة العلم والسياسة، والتجارة والعمل والتشريع والفلسفة والمنطق والصرف والأدب والفن. واللغة من اللغة أساس وحدتها ومرآة حضارتها، ولغة قرآنها الذي تبوأ الذروة، فكان مظهر إعجاز لغتها القومية.

وتعتبر اللغة العربية لغة لشعوب مهمة وحضارة عظيمة، ولهذا تسابقت الشعوب الأخرى على دراستها من مشارق الأرض إلى مغاربها³. فكانت ولا تزال الشاحنة الأساسية للأفكار العربية الإسلامية، بحيث لا يمكن قهرها عبر محاولة التقليل من أهميتها واستبدالها بالعامية أو لغة أجنبية، وهذا لأنها تملك خصائص فريدة من نوعها، تجعلها في درجات فوق أعظم اللغات الحالية. ويمكن تلخيصها في ما يلي⁴:

- إنّ اللغة العربية هي اللغة الوحيدة في العالم التي تكتب كما تنطق.

- تملك العربية نظاماً فريداً من نوعه في تركيب كلماتها، وإذا أحسن استعماله سوف يحافظ على سلامتها ونقاوتها.

وإنّ ازدهار اللغة العربية في هذا العصر، وفي كل العصور، مرهونٌ بازدهار العلوم والتقانة في الدول العربية، حتى تصبح لغة البحث العلمي في هذه الحقول جميعاً، لأنّ اللغة تنمو وتتطور وتزدهر بنموّ اللغة التي تنتمي إليها والناطق بها.



ولقد غدت العربية لغة تحمل رسالة إنسانية بمفاهيمها وأفكارها، واستطاعت أن تكون لغة حضارة إنسانية واسعة، اشتركت فيها أمم شتى. فإنّ العرب نواتها الأساسية والموجهين لسفينتها، اعتبروها لغة حضارتهم وثقافتهم، فاستطاعت أن تكون لغة العلم والسياسة، والتجارة والعمل والتشريع والفلسفة والمنطق والصرف والأدب والفن. واللغة من اللغة أساس وحدتها، ومرآة حضارتها ولغة قرآنها، الذي تبوأ الذروة، فكان مظهر إعجاز لغتها القومية.

فلا يمكن النظر إلى اللغة إلا على أساس أنها ظاهرة اجتماعية، أو نظام اجتماعي متكامل ومترابط مع غيره من النظم الاجتماعية الأخرى، يعمل من خلال قواعد تنسق حياة الجماعات واستقرارها، وتسهّل تفاهم الأفراد في ما بينهم. وعلى هذا الأساس "فكل المجتمعات والأمم تعتز بلغتها، لأنها رمز كيانها وعنوان شخصيتها، ومستودع ثرائها الحضاري والثقافي والعقائدي، وقوة وحدتها القومية. وإذا كانت الأمم الأخرى تعتز بلغاتها وتتعصب لها، وتحاول نشرها في كل مكان واتجاه، فعلينا نحن أيضا أن نعتز بلغتنا العربية، وأن نعتني بتعلّمها، والأخذ بأسباب نشرها وتدريسها".⁵

واهتمامنا بلغتنا العربية واعتزازنا بها، لا يتأتى من منظور أنها مادة دراسة فحسب، بل باعتبارها عاملا أساسيا، في بناء الإنسان العربي بكلّ جوانبه، ومحورا للعملية التعليمية كلّها، بل



محورا أساسيا للتعلّم الذاتي، ومحورا أساسيا للنشاط الإنساني البناء في المجتمع كلّهِ. ولقد عاشت بفضل تغلّبها على المؤثرات المتكررة والمتواصلة، من طرف أولئك الذين أرادوا بها شرا على مرّ التاريخ، بل وأكثر من هذا، فإنّ اللّغة العربية قد فتحت ذراعيها لاستقبال واستيعاب كثير من مفردات هندية ويونانية وفارسية قديمة، وبواسطتها تم نقل علوم الهند واليونان والفرس، من الفلسفة والمنطق، والطب والفلك، والرياضيات والكيمياء وغيرها.

وعلى الرّغم من هذا، فإنّ اللّغة العربية لا تزال تعيش وإلى اليوم مخاضا عسيرا، يثنيها عن أخذ مكانتها الطبيعية داخل بنائها الاجتماعي، بسبب نظرة البعض إليها، على أنها لغة قاصرة، لا يمكن أن تساير التطور المذهل، الذي تعرفه الإنسانية في مجال العلم والتكنولوجيا والتخطيط والتنظيم. وإن كان هذا الزعم صحيحا إلى حدّ ما، فالعيب ليس في اللّغة ذاتها، وإنّما في أولئك الذين يحاولون وبشتى الطرق والوسائل الإبقاء عليها ظلّما، بعيدا عن هذا التطور والمساهمة في إثراء الحضارة البشرية، كباقي لغات العالم الأخرى، فهي الآن فاقدة الهوية فاقدة العروبة. إنّها أمشاج وأخلاط من الكلام، فصيحة نادرة الاستخدام، ومملوءة باللحن والخطأ، وفي المدارس والمعاهد العامة، تقدم بطريقة هوجاء، غير منضبطة المعالم. وتقدم



موادها أحياناً باللغة العامية، بل إنَّ النحو نفسه يقدم بهذه الطريقة.

أما في الجامعات، فإن أصحاب الاختصاص لا نجد لهم أي اهتمام بها ولا بدروسها الاهتمام المناسب، حتى إن مؤلفاتهم وآثارهم المكتوبة، محشوة بالخطأ والتجاوز. ونلاحظ الخلط كل الخلط في تقديم المواد العلمية، كالطب والهندسة ونحوهما، حيث يؤثر بعضهم التعامل مع الطلاب باللغات الأجنبية، ضاربين صفحاً عن اللغة العربية، في حين إنّه من الأوفق والأسلم، بل من الواجب، تعريب اللسان باستخدام اللغة القومية.

وإن اللغة العربية كائن اجتماعي قبل كل شيء، وأداة اتصال الأفراد الاجتماعية التي تستعمل في جل ميادين الحياة، وهي تتوفر على كل ما يمكنها من مساهمة تطورات الحياة والعلوم، وقابلة للتعبير عن جوانب التقدم العصري، وهذا ما يمنح لكل لغة يهتمّ بها أصحابها. "والعربية كما أظهرت قوتها في الماضي، يمكنها ذلك اليوم بفضل ثرائها التاريخي، وما اكتسبته من ظواهر جديدة لكثرة المصطلحات العلمية والفنية الجديدة، وتيسيرها لبعض القواعد والتراكيب اللغوية المعقدة، يجعلها تسير التطور في جميع مراحل الحياة ومجالاتها".⁶ إذن فهي من اللغات العالمية الكبرى، وهذا بشهادات أقوام كثيرين، والماضي كفيل بأن يثبت قوتها في العالم بأسره.⁷ ومع ذلك



فهناك من يوجّه لها جملة من الاتهامات، نحاول التطرق لبعضها في النقاط الآتية:

- **كثرة المفردات :** يؤخذ على اللغة العربية الفصحى كثرة مفرداتها ومترادفات الشيء الواحد، والتي تجهد القارئ أو المتعلم في الإحاطة بكل تلك المترادفات التي لا فائدة في كثرتها، كأن نجد الكثير من الأسماء للأسد والسيف والعسل، هذا ما أدى بالمناهضين لها باعتباره قصورا وضعفا فيها، ولكن الموضوعية تتطلب منا القول أن كثرة هذه المفردات ليست عيبا على الإطلاق، بل هي ميزة من مميزات رقي اللغة العربية ودقتها، لأنّ ما يعيب عن هؤلاء هو أن المئات من المفردات المترادفة التي يظن الجاهلون بها بأنها لا معنى لها، هي في الحقيقة تحمل دلالات في غاية الدقة قلّما يوجد مثيل لها في اللغات التي يقال أنها حية.⁸

- **الفقر في المصطلحات العلمية:** إنّ المشكلة التي تواجه اللغة العربية في الوقت الراهن هي فقرها للمصطلحات العلمية، التي تعبّر عن مختلف مجالات الحضارة العصرية. وعندما نسلم بقلّة المصطلحات المعبرة عن المخترعات العصرية في اللغة العربية، ليس تأكيدا للدعوة إلى التخلّي عن هذه اللغة إلى اللغات العالمية الأخرى، وإنّما هو للتنبيه إلى المغالطة، وتحديد مسؤولية العجز في الناطقين بها، وليست في اللغة بذاتها. كما أنه ليس من الموضوعية القول أن اللغة العربية هي التي تحمل



بذور العجز وعدم المسايرة للحضارة العصرية، فقد عبّرت عن أرقى رموز الحضارة في عصرها الزاهر قبل الآن. فالتحدي لا يكمن في اللغة نفسها بقدر ما يكمن في الناطقين بها الذين هجروها إلى لغات أخرى، ولم يحاولوا الزج بها في أعماق الحضارة الإنسانية والتكنولوجيا المعاصرة.

- عدم إعطاء بعض العرب مكان الصدارة للغة العربية في بلدانهم :

نبدأ في سرد هذا التحدي بمثل عربي مفاده، من لم يحترم نفسه لا يمكن أن يحترمه غيره، وهذا ما نطبّقه على العرب الذين وصفوا لغتهم العربية ومشاكلها، في المرتبة الأخيرة من حيث اهتماماتهم الوطنية والقومية، فنجد منهم من يعتبرها مجرد وسيلة للتفاهم والاتصال بين أفراد المجتمع.⁹ فلقد ناظّل بعض العرب وبذلوا الجهد والمال، من أجل أن تعتمد اللغة العربية كلغة رسمية، في الأمم المتحدة ومنظماتها المتخصصة، رغم كلّ العراقيل الظاهرة والباطنة التي وضعت في طريق هذا الهدف من طرف أعدائها التقليديين، من الدول الاستعمارية التي تعرف قيمة اللغة الوطنية، ودورها السياسي والحضاري على المدى البعيد، ثم من بعد هؤلاء يأتي بعض العرب الذين لم يكن لهم أي دور في تحقيق ذلك المكسب التاريخي، ليضربوا به عرض الحائط، فنراهم يلقون خطبهم الرسمية وغير الرسمية، باللغة الفرنسية أو الانجليزية، تباها وتظاهرا بالثقيف والانفتاح.



-اتهمها بالعقم والجمود والتجبر والقصور، وأنها لم تعد ملائمة لأساليب القرن الحادي والعشرين عصر الثورة المعلوماتية، فكان منا من نظر إلى تخلف العرب العلمي في عصر الذرة، فأعلن أنه لا يرى لهذا سبباً، غير تمسك العرب بلغتهم في مراحل التعليم عامة، والتعليم العالي منها خاصة، وآخر يلحّ في الدعوة إلى تدريس العلوم الطبية وغيرها بلغة غير عربية، ليظلّ المسلم عنده إحساس بعجز اللغة العربية لغة القرآن.

تلك الدعاوى الرامية إلى تفجير العربية وتحويلها إلى ركام من التراكيب والدلالات التي يعجز اللبيب عن إدراك مراميها، فضلاً عن المثقف العادي. وقد بلغ مداه وأقصاه في ما يسمّون أنفسهم (أهل الحداثة) والحداثة أمرها محدث وشر الأمور المحدثات، لم يفكروا في حداثة تحافظ على خصوصيتنا وهويتنا وشريعتنا، وتوقف نزيف الكلمة الطيبة التي نحروها على نصب الغموض، والرمز وعبث القول.

- عدم تعريب الفروع العلمية في الجامعات العربية: يعني لفظ التعريب نقل الأفكار من الخارج إلى الداخل، وكان يقصد بالتعريب نقل اللفظ الأعجمي إلى العربية، ثم أصبح يقصد بالتعريب تصحيح الوضع الثقافي المختل بسبب الغزو الاستعماري، محاولته القضاء على اللغة الوطنية، وإحلال اللغة الأجنبية محلها. ولكن بعد زوال الاستعمار، فإن المقصود بالتعريب، هو عكس التعجيم أي الترجمة من اللغات الأجنبية إلى



اللغة العربية. وإذا كان الإعراب يستلزم إتقان اللغة القومية وإعطائها الأولوية المطلقة، واتخاذها عنوانا للسيادة، فإن التعريب يستلزم هو الآخر تعلم اللغات الأجنبية بأحدث الطرق والأساليب. ومن هنا ضرورة التفتح على الثقافة العالمية.¹⁰ وبالتالي كان على التنظير أن يلاحق هذه التطورات، وأن يطرح لها التفسيرات التي لا بد أن تتعدد وتتضارب في مثل هذه الحالة، يضاف إلى ذلك طبيعة العولمة نفسها من حيث هي ظاهرة عريضة ترتبط بتطور المجتمع البشري أو تغير العالم، ومن حيث هي في طور التكوّن ولم تأخذ شكلها النهائي بعد، ومن ثم فإنه من الصعب حسم القول بشأنها.¹¹ وإذا كانت قد أصبحت القوة المؤثرة في واقع الحياة المعاصرة، وأصبحت كل المجتمعات تعيشها بدرجات متفاوتة، بما فيها أكثرها عزلة، وإذا كانت ترتبط بثورة علمية تكنولوجية غير مسبوقة، فإنها لاشك "تمثل فصلا جديدا في تاريخ البشرية، لا بد أن تتضارب فيه الأقوال وتتعدد، ليس فقط في ما يتعلق بتعريفها، وإنما أيضا في ما يتعلق بأبعادها، خصوصا مع أهمية هذا التحديد في مجال كيفية التعامل معها، وكذلك على أساس تحديد إيجابياتها وسلبياتها، أو ما يمكن أن تقدّمه من فرص وما تطرحه من مخاطر أو قيود".¹² ولعلّه من الطبيعي أن تتعدد تعريفاتها، بحكم تعدّد جوانبها وأبعادها ومستوياتها، وبحكم ما تتسم به من التركيب، ثم بحكم ما تتعرض له من تغيرات



حادة وسريعة. وأخيرا بحكم عدم اكتمالها في أرض الواقع.¹³ ويتسم مفهومها بقدر كبير من الغموض والتعقيد رغم كثرة ما كتب عنه، شأنه في ذلك شأن العولمة في واقعها، فواقع العولمة يعكس نفس القدر من الغموض والتعقيد. وما كتب عن العولمة كثير إلى الحد الذي يجعله كفيلا بإزالة هذا الغموض، وفك هذا التعقيد. لكن لم يحدث وربما العكس هو الذي حدث، فإن تكن العولمة تشير إلى تلك المجموعة من التطورات التي أعقبت انتهاء الحرب الباردة، والتي تتجه نحو صناعة عالم تتلاشى فيه الحدود والفواصل، وينكمش فيه الزمان والمكان، فذلك ليس بالأمر اليسير، فمن ناحية نجد أن هذه التغيرات التي حدثت في الواقع بشكل سابق على التنظير، أي أن العولمة في حقيقتها قد أصبحت أمرا واقعا، تعيشه المجتمعات قبل أن تصاغ لها مقولات نظرية.¹⁴

فالعولمة تعاريف متباينة نوعا ما من حيث الشمولية والجزئية، مختلفة من حيث المنطلق والهدف، "فبعضها ذو منطلق اقتصادي بحت، بينما البعض الآخر غير ذلك. وبعضها يهدف إلى ترويج المصطلح، وبعضها التخويف منه. وهذا الاختلاف في التعاريف أدى إلى التعدد في المواقف، وخاصة بين الموقف الذي يعتبر العولمة بمثابة الأمركة أو الغربنة، وبين ذلك الذي يعتبرها عملية ترابط أكثر بين المجتمعات، والانفتاح على بعضها البعض".¹⁵



إن ظاهرة العولمة في ظلّ عالم غير متكافئ، وفي ظلّ فجوة كبيرة، تفصل بين شعوب متقدمة غنية، وبين شعوب أخرى نامية فقيرة، تحمل في طياتها تهديداً بخطر ذوبان الثقافة تحت مظلة نمط ثقافي موحد، يضم منظومة من القيم، يتم فرضها على بلدان العالم، وهو في الغالب النمط الثقافي الغربي، وبصفة خاصة الأمريكي، وهنا تصبح الثقافات الوطنية محل اختبار حقيقي، إمّا أن تحافظ على تميزها وتفردها وسط هذا الذوبان الثقافي المتوقع، أو تتعامل مع هذا النمط، وتتوحد معه، فتفقد تميزها وتفردها، ومع مرور الوقت تذوب الهويات الحقيقية، وتطمس الملامح الذاتية، وذلك هو التحدي الحقيقي الذي يواجهه العالم بأسره، وبصفة خاصة دول العالم النامي. ويكون السؤال الجوهرى أمام هذا العالم هو كيفية المواءمة بين متطلبات العولمة وضرورة الحرص في ذات الوقت نفسه على التمسك بخصائص الهويات الوطنية وثقافتها.

تلك هي القضية الجديرة بأوسع نقاش بين رجال الفكر والثقافة، والإعلام في العالم النامي، إذ الكل في قارب واحد. فكل كاتب يقدم تعريفاً يتماشى وتصوراته للظاهرة، وما يريد أن يترتب عليها من آثار، وذلك ضمن اختصاصه، ممّا يجعل العولمة عند البعض وكأنّها تطور طبيعي وآلي، بل وحتمي لا خيار للدول سوى الأخذ بها. فالتعاريف تختلف في تكييف العولمة هل هي ظاهرة ناجزة وتامة، أم هي عملية أو مجموعة



عمليات تحتاج إلى مرحلة لتكتمل معالمها وعناصرها، وإذا كانت ظاهرة أو عملية، هل هي متنوعة أو متعددة الجوانب، وهل هذه الجوانب مترابطة حتما، بمعنى أن الدولة لا تستطيع أن تختار منها ما تريد وترفض ما تريد؟¹⁶ وإن بعض التعاريف يعكس في ذاته نوعا من الاستخدام المحدد للعولمة، فبعضها يستخدم مفهوم العولمة "كمترادف للدولة، وبعضها كمترادف للعالمية وبعضها كمترادف للأقلمة والغربنة والأمركة. وبالتأكيد فإن استخدام المصطلح مسألة منهجية تعبّر عن المنطلق، وتعكس نوع التوجّه وتحدّد الوسائل الضرورية للوصول إلى النتائج المتوخاة".¹⁷

ومصطلح العولمة يعني "عالمية العادات والقيم والثقافات لصالح العالم المتقدم اقتصاديا وبمعنى آخر محاولة سيطرة قيم وعادات وثقافات العالم الغربي على بقية دول العالم خاصة النامي منها بشكل يؤدي إلى خلط كافة الحضارات وإذابة خصائص المجتمعات هذا بالإضافة إلى تهميش العقائد الدينية".¹⁸

ولقد تعدّدت الرؤى وتضاربت الآراء حول مفهومها، وارتبط الحديث عنها بظهور مجموعة من التطورات غير المسبوقة في المجالات الفكرية والتكنولوجية والاقتصادية، دفعت في اتجاه زيادة ترابط العالم وانكماشه، فقررت العولمة لدى أغلب الباحثين، دخول العالم مرحلة جديدة، من أهم سماتها تقارب



المسافات الجغرافية والموضوعية، أو تلاشيها بين المجتمعات والغرب والدول.¹⁹ وبالتالي حول واقعها وآفاقها المستقبلية. وقد يرجع هذا التضارب إلى العديد من العوامل أهمّها :

- العامل الأول (الأيديولوجي)، حيث نجد أن هناك أكثر من مستوى للتضارب أو التناقض في الرؤى، فهناك تناقض بصفة عامة بين صانعي العولمة ومروجيها من جانب، وبين المتلقين لها من جانب آخر، قريبا من هذا التناقض، ويتقاطع معه وربما يتطابق معه في كثير من الأحيان، هذا التناقض بين المستفيدين من العولمة، وبين هؤلاء الذين يتضررون منها، أو يتحسبون لأضرارها، وما يمكن أن تطرحه من سلبيات. أيضا هناك تناقض بين الأيديولوجيا المختلفة المعروفة على الساحة السياسية الليبرالية الماركسية، ثم هناك تناقض بين الفصائل المتعددة في إطار كل توجه أيديولوجي.

- العامل الثاني: يتمثل في اختلاف المصالح أو تباين الآراء من زاوية المصالح، والتي تختلف باختلاف المجتمعات، ومراحل تطورها وموقعها في المنظومة العالمية.²⁰

- العامل الثالث: الذي يكمن وراء اختلاف الرؤى حول العولمة، هو اختلاف زاوية الرؤية، فالعولمة قضية من الشمول والاتساع، وتعدد الجوانب والمستويات، بحيث يمكن النظر لها من زوايا عديدة وجوانب مختلفة، بحيث يصعب التعامل معها على نحو مركّب ومتكامل في نفس الوقت، فهي تحتاج إلى



تخصصات عديدة، ومن ثم فليس غريبا أن يتم النظر إليها أو التعامل معها وفقا لزاوية التخصص، أو تبعا للهدف من البحث أو الدراسة.²¹ يضاف إلى ذلك أنها بحكم طبيعتها عرضة للتداول الإعلامي، ومغرية للتدخل فيها من جانب كل المثقفين على اختلاف مواقعهم الأكاديمية أو الرسمية أو المهنية، واختلاف مشاربهم أيضا.

- أما العامل الرابع: فيتمثل في طبيعة التطورات المرتبطة بالعولمة، والتي تتسم هي أيضا بالتناقض الصارخ، فإنّ السّمة الغالبة للعولمة هي الفوضى، وإنّ إمبراطورية الفوضى هي ما يبدو حتميا في العولمة.

فهناك من يرفض العولمة رفضا قاطعا، من حيث المبدأ، ويدعو إلى اتخاذ التحصينات اللازمة ضدها، من خلال التشبّث بالموثوث والتقوقع داخل الحدود، وهناك من يتحمّس إلى قبول العولمة، ويسلّم بدورها في إعادة صياغة العالم، وبناء كيان حضاري، وفقا لمنظومة مغايرة من العلاقات على مستوى السياسة (السلطة) والمعرفة (الثقافة). وهناك من يقبل العولمة مع التحفّظ أو بشروط معينة، هذه الشروط تنهض في النهاية على فكرة تعظيم الإيجابيات وتحاشي السلبيات قدر الإمكان. بعبارة أخرى هناك موقضان: موقف الرفض الكامل وموقف القبول الكامل، بينهما سلسلة من المواقف التي تندرج من الرفض إلى القبول، أو درجة كل منهما ونسبته إلى الآخر. لكن



المسألة ليست بهذه البساطة، إذ إنه من الصعب في كثير من الأحيان تجزئة العولمة، وبالتالي لم تزل مسألة كيفية التعامل مع العولمة قضية شائكة ومعقدة.²²

ومع النهضة الحتمية للعالم العربي الإسلامي وازدياد أهمية شعوبه في مختلف لميادين، فإن العربية سوف تسترجع وبدون شك في المستقبل مكانة الصدارة، وإذا أردنا أن نعجل في الوصول إلى تلك المرحلة، يجب علينا الآن البداية في دراستها المنهجية، لأن نجاح اللغة في هذا العصر يكمن في الدعاية الناتجة من النشر والإشهار عبر الطباعة الحسنة والتقديم الجيد من خلال القنوات المختلفة²³، حيث يجب استثمار كل الأموال والجهود في تحسين الكلمة المطبوعة، وهذا لرفع ذوق ودراية الشعب. يجب كذلك استعمال العربية في كل ميادين الحياة وفي كل مكان، ونلاحظ جليا نجاح العرب في تعريب جزء من الحاسوب على مستوى اللغة المكتوبة لكن مازال أمر اللغة المنطوقة يحتاج لشوط طويل في التعريب، فتغذية الحاسوب في ما عرب لم تتم بالشكل المطلوب في إطار المعجمية الحديثة والمستويات الدلالية والصرفية والنحوية للغة العربية، ويحتاج لجهد مشترك من اللغويين الحاسوبيين لإنجازها. وللتغلب على هذه العقبات وضع العلماء سؤاليين لتحديد المطلوب هما:

- كيف نتجاوز قيود اللغة الإنجليزية على الحاسوب في المعالجة العربية دون إخلال بنظم العربية وقواعدها؟.



- كيف يمكن الاستفادة من النظم الحديثة للحاسوب وتطويعها لخدمة العربية؟

فتستفيد اللغة العربية من الحاسوب كأداة للغة في الأغراض الآتية²⁴:

* استخدام الحاسوب في الترجمة الآلية: وهذا العنصر من الغايات النهائية لنظم التحليل الحاسوبي، وقد قطعوا فيه شوطا لا بأس به لكن تصادفه عقبات أهمها:

- عدم التقابل الكامل بين مفردات اللغة المختلفة.

- التباين في طبيعة تركيب الجملة بين لغة وأخرى.

- استخدامه في الإحصاء اللغوي مثل ورود حرف الجر في نص معين، وتوزيع الصيغ الصرفية المختلفة وأنواع الأنماط التركيبية وتوزيع حالات الإعراب المختلفة... الخ.

- استخدامه في التحليل والتركيب اللغوي²⁵.

فعلى مستوى الصوتيات يمكن تمييز الكلام وتوليده آليا، وعلى مستوى الكتابة يمكن القراءة الآلية للنصوص المكتوبة، وعلى مستوى الصرف يمكن تحليل الكلمات إلى مقاطع ووحدات صوتية وتركيبها أيضا، وعلى مستوى النحو يمكن تحليل الجمل وإعرابها وتوليدها آليا.



* استخدام الحاسوب في تعليم اللغات: وقد أنجز تقدما ملحوظا لهذا العنصر، وبخاصة في مجال المفردات لتنمية حصيلة الفرد من الكلمات وتنمية مهارة القراءة والكتابة.

واللغة العربية تتسم بملامح وسمات لغوية تؤهلها لاستيعاب كل التغيرات المستحدثة والتباينات المختلفة في اللغات الأخرى، وبذلك فهي مهياة من داخلها لأن تصبح لغة عالمية. ولقد نجحت العربية في هذا الدور في عصور الازدهار والفتوحات، وكانت أداة فعالة لنقل المعارف والعلوم حتى قيل في المثل: (عجبت لمن يدعي العلم ويجهل العربية). ومن أهم الخصائص اللغوية التي ترشح العربية للعالمية التزامها بالقاعدة الذهبية في ما يخص التوازن اللغوي، فهي تجمع بين خصائص اللغات الأخرى، في حين نجد تعرضها لحركة تهميش وإزاحة في ظل العولمة بفعل الضغوط الناجمة عن طغيان الإنجليزية على المستويات السياسية والاقتصادية والتكنولوجية، كما تعاني اللغة العربية واقعا مريرا يتمثل في ما نشهده من تقاعس لغوي، ينحو بها بعيدا عن التواصل مع الثقافات العالمية واتخاذ موقعها على خارطة المعلومات العالمية، وحسبك أن تنظر إلى إعلانات التلفزيون ولافتات الشوارع وغيرها وما تحتوي عليه من ألفاظ أجنبية مثل السلام شوبنج سنتر، الحرية مول، سوبر مركت²⁶.



ما يؤثر على العربية هو ضعف اهتمامنا بتعليمها غير الناطقين بها، بل لحق الضعف بتعليم العربية لأبنائها أنفسهم، فالقاء نظرة عابرة إلى صحيفة أو كتاب، بل حتى إلى رسالة أكاديمية، لترى العجب العجاب من أخطاء لغوية تمسّ البناء اللغوي كله لا مجرد أخطاء نحوية يسيرة²⁷.

ومن المعروف أنّ دور اللغة في وطن من الأوطان أنّها بمثابة القلب من الجسم، فعن طريق اللغة يتنفس الساكنون أصولهم ومنها يستمدون السيورة باعتبارها مكوناً حيويًا من مكونات هوية الشعب وصلة وصل عضوية مع الآخر²⁸. فهي ترتبط بأهلها فصي قوتهم قوة لها وفي ضعفهم ضعف لها. "ومحنة العربية المعاصرة من أهلها، فالتخلف الحضاري لأهل اللغة العربية جعل العربي عاجزاً عن التعبير عن هذا الطوفان الحضاري من المخترعات الجديدة، ولم يكن أمام الإنسان العربي بدٌّ من استعمال هذه المواليد الحضارية بأسمائها الأجنبية كما سماها أهلها بلغتهم، رغم جهود المجامع اللغوية العربية في ترجمة المصطلحات العلمية وأسماء المخترعات الحديثة"²⁹. إلا أن الواقع قلما يستجيب لذلك، فالمشكلة هي أننا مستهلكون للعلم لا منتجون، ومواليد العلم تولد على غير أرضنا وبأيدي غيرنا، وصاحب المولود هو الذي يسميه، فالذي يشكل عنصراً صناعياً في معمل من المعامل هو الذي يعطيه تسميته العلمية، والأمثلة على ذلك كثيرة "تلفزيون، راديو كاسيت".



يضاف إلى ما سبق أن شعور بعض المثقفين بأن اللغة الأجنبية لغة أهل الحضارة والتقدم يجعلهم يلجؤون إلى تطعيم حديثهم بأسماء وتعبيرات أجنبية كدليل من وجهة نظرهم على علوّ كعبهم في العلم، وسمو ثقافتهم، وما ذلك إلاّ لون من التلوّث اللّغوي الذي انتشر بين كثير من المتعلّمين في مجالات مختلفة، هذا فضلا عن تأثير لغة الإعلام بوجه عام³⁰ في وقت لوحظ اتجاه نحو اللّغات الأجنبية، وتهميش العربية بأنها لغة عفا عليها الزمان، ولا تساير الحضارة العصرية، فلا تصلح إلا أن تكون لغة الأشعار أو التآبين، ولغة يتخاطب بها في المساجد، وفي الخطب الحماسية، فلا يقرأ في العربية إلا النقص، وباتت عند البعض لصيقة بالبادية³¹.

وهذه الدعوات ليست وليدة عصر الإنترنت، بل تعود إلى ظهور الصناعة لدى الغرب وتقاعس العرب عن ملاحقة المستجدات، وربط معظم ذلك بتخلف اللغة العربية. "فاللغة العربية لغة وعي وشهادة ينبغي إنقاذها سليمة بأي ثمن"³².

في حين نجد أن اللغة العربية هي اللغة التي شرفها الله بأن صبّ كلمه في أصواتها، والتي كانت مبعث الاعتزاز للعربي البدوي الذي اشتهر ببلاغته العالية، وهو يرتجل كلامه على السليقة، بعيدا عن كل لبس يدنس الصفاء اللّغوي³³.



والعولمة تعني في معناها تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله أو الكشف عن أساليب وأهداف وآليات هذه العولمة والعمل على إبراز معالم صحيحة ناجحة في سبيل مواجهتها. فالعولمة قدر علينا في الوقت الذي تهاوت حدود الزمان، فنحن في داخلها قبلنا أم رفضنا، والذكي هو الذي ينفعل في دينامياتها، فأَيّ موقع يصنعه فلنفسه، فلا يجب أن نشغل أنفسنا بآفاق العولمة دون الدخول في كيفية الاستفادة من التطور. فكانت هناك دائما عولمة في كل مرحلة تاريخية³⁴، وهي تعني كذلك في المنظور العام إكساب الشيء طابع العالمية، وحلت باعتبارها شكلا من أشكال توحيد العالم المفضي إلى سعادة البشر، كما أريد للشعوب أن ترتبط ببعضها البعض في الوقت الذي كانت تطلق على العملاقة الاقتصادية والصناعية، وأخذت تسميات عديدة مثل الاختراق الثقافي، الغزو الثقافي، الكوكبية، القرية الكونية، "وإنها نظام أو نسق ذو أبعاد تتجاوز دائرة الاقتصاد، وإنها نظام عالمي يشمل المال والتسويق والمبادلات والاتصال، كما يشمل أيضا مجال السياسة والفكر والإيديولوجيا"³⁵. فنحن نأكل ونتجول ونشاهد بالعولمة وهي ظاهرة العصر وسمته، وما كان علينا إلا أن نسارع إلى دراستها وفهم مكوناتها، وهذا ما تؤكده حتمية العولمة، وتنمية التطور الإنساني الذي غير الكثير من المفاهيم بفعل التأثير والتأثر، ونعمل على اتخاذ ما يجب اتخاذه من أساليب المواجهة لذلك،



والتصديّ لإيقاف أثر هذا التهديد المخلّ بخصائصنا أو التقليل منه أو احتواؤه، فلماذا لا تعدّ نوعاً من التضامن بين الدول في مواجهة المخاطر التي تهدد العالم؟³⁶.

والعولمة لا تعترف بالخصوصيات الثقافية أو اللغوية، وهذه السمة لها تأثير مزدوج على اللغة، "فهي من ناحية تضع اللغة في إطار النظرية العامة وتنظر إلى اللغات الإنسانية بوصفها كلا، وتتيح لنا أن ندرك القواسم المشتركة، ومواضع الاختلاف والتباين بين اللغات. وعلى قدر قرب اللغة من هذا النموذج النظري تتخذ موقعها في إطار المعلوماتية، ومن ناحية أخرى نجدها تفرض سيادة لغة ما من لغات الدول لهذه اللغات، وبالتبعية يحدث تهميش وإزاحة للغات والثقافات الأخرى عن موقع التأثير، والدليل على هذا أن شبكة الإنترنت بما تحمله من فيضان المعلومات المختلفة تهيمن عليها اللغة الإنجليزية مما يثير فزع الدول التي لا تستعمل الإنجليزية، لأن الأمر لا يقف عند حدود اللغة فقط، بل يتعداها إلى سيادة الثقافة المتصلة بها"³⁷.

وإنّ كلّ لغة تتعرّض للاحتكاك باللغات الأخرى، هي لغة مرشحة للتحديّ، ذلك أنّ الاحتكاك الحضاري يستتبع احتكاكاً لغوياً في الغالب، بين اللغة الأصلية واللغة الوافدة، فتواجه العربية بتحديات شرسة من قبل قوى العولمة المختلفة، المتمثلة في المصالح المادية الناجمة عن الاتصال بالأجنبي،



والتأثير الإعلامي القائم على الصخب والضجيج والتبشير باللغة الإنجليزية، على أنها اللغة العالمية التي هي لغة البشر، والواقع أن الادعاء بأن اللغة الإنجليزية لغة عالمية، ادعاء ليس له نصيب من الصحة، عندما يوضع على محك البحث العلمي، ونحن هنا لا نلقي الكلام على عواهنه، وإنما نفيد من بحث (سامويل هنتجتون) (Samuel hanton) في كتابه "صدام الحضارات"، الذي أثبت فيه أن القول بعالمية اللغة الإنجليزية ما هو إلا وهم كبير، بل إن المعلومات المتوافرة لديه، تظهر العكس. فقد كان عدد الذين يتحدثون الإنجليزية بوصفها لغة أولى سنة 1992م لا يزيد عن 7,6% من بين المتحدثين بلغات يزيد من يتكلم بها عن مليون نسمة، بل إنه يبين أن نسبة المتحدثين بالإنجليزية قد تدنى سنة 1992 عنه في سنة 1958م التي كان يوازي فيها المتحدثون باللغة الإنجليزية نسبة 9,8%. ويخلص إلى النتيجة الآتية، وهي أن لغة تعدّ أجنبية لدى 92% من سكان الأرض، لا يمكن أن تكون لغة عالمية.³⁸

ولذلك فإن الوصف الحقيقي للغة الإنجليزية، كما يرى ذلك هذا الباحث، هو أنها يمكن أن تعدّ في هذا العصر لغة الاتصال العالمية بين مختلف الثقافات والحضارات، هي لغة يتبادل بها أبناء التجمعات الثقافية المختلفة المنافع في ما بينهم، ولا يتكلمون بها داخل هذه التجمعات التي يستعملون فيها لغاتهم الخاصة، وبذلك يضع هذا الباحث اللغة الإنجليزية



في حجمها الحقيقي، بوصفها لغة الاتصال بين المختصين أو من يحتاجونها من الأفراد من جهة، ومن يتعامل معهم من أفراد أو جماعات من تجمّعات ثقافية أخرى من جهة أخرى. ولهذا تنتفي الحاجة بها لكل أفراد المجتمع، وإنّما يكون إتقانها مطلوباً لمن له اتصال بشكل أو بآخر، مع أي عنصر أجنبي حسب تخصّصه، سواء كان تاجراً أم دبلوماسياً أم باحثاً، أم غير ذلك.

والتحدّي الذي يواجه اللغة العربية في هذا العصر، مردّه إلى الشعور المبالغ فيه، بأهميّة اللغة الأجنبية، الناتج غالباً عن الانبهار بكلّ ما هو أجنبي، والظنّ الزائف بأنّ التقدّم لا يأتي إلّا عن طريق إتقان اللغة الأجنبية للجميع، بل والتحدّث بها بين العرب أنفسهم، وغنيّ عن الذكر أنّ هذا الشعور يأتي من الإحساس بالهزيمة النفسية التي يعاني منها الإنسان العربي، في هذا العصر، والإعجاب المتنامي بصانع الحضارة المعاصرة، الذي يمثّل المنتصر والغالب، ومعروف رأي "ابن خلدون" في مثل هذه الحالة التي يعجب فيها المغلوب بالغالب، فيتشبه به في شعاره وزيّه وسائر أحواله وعوائده.

إنّ هذا الإعجاب يبدأ من المجتمع، حين يتحدّق بعض الناس باستخدام ألفاظ وتعبيرات لا تدعو إليها الضرورة، وبعضها له أكثر من مرادف بالعربية، مثل كلمة "OK" التي لها أكثر من مرادف منها : (حسن، طيب) والكلمة الثانية كانت مستعملة في عاميتنا إلى عهد قريب، إلى أنّ حلّت محلّها كلمة "OK" عند



كثير من الناس، صور افتتان الناس باللفظ الأجنبي واستعمالهم إياه مع وجود البديل كلمة "Mobile" وهي تعني الهاتف الجوال، فإن كثيراً من الناس في البلاد العربية يستعملون هذا اللفظ الأجنبي، مع وجود أربعة أسماء عربية متوافرة على امتداد الوطن العربي هي: "الجوال، والنقال، والمحمول والخلوي".

فلا يعني أبداً هذا أننا ضدّ التعاون الإنساني، ولا ضدّ تشارك الأمم والشعوب وتكاملها، ولكنّ هذا الطُمُوح الذي كحلّ عيون الفلاسفة متعذّرٌ من الناحية الواقعيّة. أمّا التّكامل الواقعي والموجود، والذي يكثر وروده في كتابات المفكرين، فهو من نوع آخر، ويتشعب في حقيقته إلى نوعين؛ تكامل تراكمي عمودي وتكامل أخطبوطي أفقي. أمّا التّكامل التّراكمي العمودي فهو تكامل الحضارات المتعاقبة ورفدها بعضها بعضاً بفعل التّلاقح الحتمي للحضارات والشّعوب، كما حدث في وراثة اليونان لحضارات الشّرق القديم، ووراثة الحضارة العربيّة الإسلاميّة للحضارة اليونانيّة والحضارات السّابقة، ووراثة الحضارة الأوروبيّة للحضارة العربيّة الإسلاميّة،... وأمّا التّكامل الأفقي فهو التّكامل المتزامن بين الأمم والشّعوب، وهو إمّا أن يكون تكاملاً قسرياً يفرض القوي فيه حاجاته على الضّعيف، من أجل أن يتكامل بنيانه ويزداد متعة، كما هو الحال بين الغرب والشرق أو بين الشّمال والجنوب. أو أنّه تكامل بين حضارتين قويتين متزامنتين، وهنا تلعب المصالح والقوّة الدّور الحاسم



في تحديد طبيعة هذا التّكامل، كما هو الأمر بين الولايات المتحدة وأوروبا واليابان مثلاً، فالعولمة ليست فقط من أجل تعاون أكبر، ولكن أيّ شركة ذات سوقٍ محليةٍ قويّةٍ وتصديرٍ قويٍّ يمكن أن تتابع عمليّة العولمة.³⁹

وإنّ الموقع العربيّ من العولمة موقعٌ مأساويّ، ولكنّه على ضوء ما سبق وأسلفنا، موقعٌ طبيعيّ في إطار راهنيّته التاريخيّة. ولذلك " نحن لا نعتب على الغرب في اختراقاته وانتهاكاته حقوقنا وخصوصيّاتنا، ولكننا نعتب على أنفسنا المتقاعسة، المتهاكمة في فتح الثّغرات أمام الغرب ليقوم هو باختراق غيرها، ولتتسع من ثمّ جراحنا أكثر، وإنّ أزمة الهوية العربيّة؛ المجتمعيّة والثقافيّة، لا تكمن في محاولات اختراقها من الخارج، بقدر ما تكمن بالذات لدى حمايتها والمدافعين عنها من النّخب وأصحاب المشاريع الأيديولوجيّة، العاجزين عن ممارسة الاختراق والتّوسّع، عبر خلق الحقائق وإنتاج الوقائع " ⁴⁰. ولكننا نأخذ عليه رقّته ولطفه في التّعامل مع هؤلاء الذين أعملوا معاول الهدم والتّخريب في البنى العربيّة جميعها: الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والفكريّة عن قصد وعن غير قصد. ليست العولمة أو الحضارة سيادة دولة أو شركة أو حزب أو جماعة، حتّى نقف معها أو ضدها، أمامها أو وراءها. إنّها السّيرورة الطّبيعيّة للتّطور التاريخي؛ العلمي والتّقاني والاقتصادي.



وبالتالي فإنّ الوقوف معها أو ضدها هو وقوف مع أو ضدّ لا شيء وكل شيء بأنّ معاً، والماشي وراء العولمة أو أمامها هو ماشٍ أمام أو وراء لا شيء، لأنّ العولمة ليست قراراً أو موقفاً يتيح لنا أن نعلن منه موقفاً أو نتخذ ضده قراراً.

وفي حقيقة الأمر إنّ العولمة هي أمركة سادت العالم طوعاً أو كرهاً، فمنهم من قبلها بنفسه ومنهم من فرضت عليه فرضاً وهي أمركة ثقافية ولغوية وسياسية وعسكرية أيضاً.

لقد تعدّدت اتجاهات البحث في العقد الأخير من القرن العشرين عن مدى تأثير العولمة على المضمون الثقافي بجانبه المادي واللامادي من خلال ثلاثة اتجاهات:⁴¹

الاتجاه الأول: يرى صعوبة قيام ثقافة معولمة، لأنّ الثقافة الأصلية في أي مجتمع قادرة على الاحتفاظ بخصوصيتها وتنوعها أمام تيار العولمة، بوسائل عديدة طالما بقيت الفروق قائمة بين الأفراد والدول.

الاتجاه الثاني: يتفق مع الاتجاه الأول ويؤكد على أنّ الثقافة لا تعولهم، وإنّ الصورة الحالية للعولمة الثقافية هي في حقيقة الأمر نوع من الهيمنة الثقافية أو الغزو الثقافي لثقافة معينة، وهي الثقافة الأمريكية على الثقافات الأخرى. وبهذا فالعولمة من الوجهة الثقافية تعني خلق ثقافة عالمية عن طريق توحيد الآراء والأفكار وتنميطها عالمياً وفرض أذواق واحدة عن طريق



سوق استهلاكية عالمية في الفكر والسلوك، بما يهدد الخصوصية الثقافية لأيّ مجتمع.

أمّا الاتجاه الثالث : فيشير إليه محمد أمين المفتى بقوله: "إنّ العولمة محاولة التقارب بين ثقافات شعوب العالم المختلفة بهدف إزالة الفوارق الثقافية بينهما ودمجها جميعها في ثقافة واحدة ذات ملامح وخصائص مشتركة واحدة".⁴²

فالعولمة تسير نحو التأثير السلبي في الهوية والسيادة معاً، والهيمنة الثقافية هدف مقصود لظاهرة العولمة. وإنّ اللغة والثقافة لكل أمة هي التي تحدّد ملامح هويتها وتراثها.⁴³

كما تسعى الأمم الأخرى إلى حماية لغتها وفرضها على الخريطة الجيولغوية، فنجد اليابان تسعى حيثياً لمواجهة الهيمنة الأمريكية على الإنترنت، وكانت البداية في مشروع الجيل الخامس الذي أطلقته اليابان في بداية الثمانينات كردّ فعل تكنولوجي يهدف إلى كسر سيادة الإنجليزية، وقوبلت في سعيها هذا بعقبات سياسية واقتصادية من جانب أمريكا لعرقلة هذا المشروع. ولا شكّ أنّ نجاح مشروع الترجمة الآلية سيمكنك وأنت عربي أو فرنسي أن تفتح جهاز الكمبيوتر، فيقوم الجهاز بتحويل كلّ الكلام المكتوب بالإنجليزية إلى لغتك التي تتحدث بها.⁴⁴



وعلينا أن نضع أمامنا هذه المشروعات الطموحة ونحذو
حذوها، بغية تحقيق الأمن اللغوي، حفاظا على لغتنا الخالدة
وحماية لها من طوفان التغريب الذي لن يقتصر على اللغة
وحدها، بل يمتد إلى الثقافة وأنماط التفكير والجذور والمنابع
التي تنتمي إليها رؤيتنا إلى العالم. لذلك المطلوب منا في
مواجهة ذلك أن ننشط في ما يلي:

- توثيق صلات العربية بفروع المعرفة المختلفة مثل الإعلام
والسياسة والاجتماع والفلسفة.

- دعم وتنمية الجهود التي تهدف إلى تعريب الكمبيوتر،
وليكن شعارنا التعريب في مواجهة التغريب.

- توثيق علاقات اللغة العربية بالفنون بنظرة أوسع.

- وعلى العربية أن تستفيد من مسائل التنظيم والترتيب مما
وصلت إليه علوم الرياضيات والإحصاء والهندسة⁴⁵.

ولابد من تكاثف الجهود لوضع العربية وما تشمله من معارف
وثقافات على قاعدة معلومات منظمة مهيأة للمعالجة الآلية
بالكمبيوتر، وذلك لأن أهمية موقع بأي لغة على الإنترنت
لا تتأتى من مجرد الأسماء والبيانات التي يقدمها عن هذه اللغة،
بل تتأتى أهميته بقدر ما يقدم من معلومات وأفكار تحملها هذه
اللغة⁴⁶.

وإن رأينا إلى الجانب الإيجابي في العولمة نجدها أنها تحمل
فرصا غير مسبوقة، فهي تعطي فرصا كثيرة لكل عامل يرغب



في تطوير لغته، حيث يقدم له البارابول والإنترنت والكمبيوتر كل ما يستلزم من عمليات الإحصاء والترتيب والتخزين والاسترجاع والتصحيح، والمستقبل مفتوح لما لا يتصور في البال، ويستلزم الأمر في هذا الموقع:

- تفعيل المنظومة التربوية تفعيلاً معاصراً، وذلك بتطوير الخطاب اللغوي، حيث يلبي كل أنماط الخطاب البسيط العلمي، ويغطي كل أساليب التعبير، ويصاحب هذا التجديد في متنها اللغوي استجابة لملاحقة العصر، وهذا ما يبعدنا عن سطحية الثقافة وابتذالها، لأنّ النظم والأساليب التربوية الحالية لا تساير الثورة الصامتة في مجال الروبوتيك.

- بناء الذخيرة اللغوية وبنوك المعطيات.

- علاج اللغة العربية علاجاً آلياً من خلال اعتماد نظم الترجمة الآلية منها وإليها.

- إدخال التراث العربي في أقراص ممغنطة.

- يجب أن تغرس المنظومة التربوية في هذا المجال مفهوم اللغة والمعتقدات والأنظمة السياسية والقانونية والأعراف، على أنها إرث المنتصرين وإنّ مشاريع امتلاك لغة تقنية لا بدّ منها، إذا أردنا التفعيل في الواقع والمساهمة فيه لا الاستهلاك والانبهار. وهذا سلوك حضاري قام به الأجداد، فهم تأثروا وأثروا وأسهموا في بناء الحضارة⁴⁷. لهذا يجب أن ننظر إلى



الإعلام والاتصال كورقة رابحة إذا استطعنا الدخول بلغتنا في عولمة الاتصال، ويكون ذلك عن طريق⁴⁸:

- بناء برامج الاتصال بعد تنميطة اللغة تنميطة عصرية حسب اللغات الحية.

- إيجاد ياقونات في وسائل الاتصال وعن طريقها تحصل المثاقفة.

- استغلال التطورات التقنية في تطوير اللغة العربية.

- توجيه بعض الاستثمارات العربية في مواجهة الإعلام لتحقيق فائدة إعلامية تتلاءم مع خصائص النمو الديموغرافي العربي.

واللغة بهذا تعد "مقوما أساسيا من مقومات الوجود، فهي بمثابة الدم داخل الجسم الحي ذات وظيفة اجتماعية وثيقة الصلة بالمجتمع وتطوره، ولتحصل المقاومة المجدية لآبد أن نتمسك بلغتنا ونجعلها وسيلتنا للتعبير والاستعمال عن طريق تفعيلها داخليا وخارجيا"⁴⁹. ومهما بلغ التشكيك في جدوى اللغة العربية أمام أدوات التطور التكنولوجي القائمة على عولمة العلم بما جعل معطياته وقواعده تتوحد في اللغة الإنجليزية وأمركة العالم. فما مقام اللغة العربية لتمس في ظل هذه العولمة التي تعتمد سيادة العلم؟ وفي الحقيقة أن المسألة تتجاوز اللغة العربية لتمس كل لغات العالم، ولكن العولمة قد تهدر الهوية أو اللغة، فنحتاج الآن إلى تفعيل داخلي وخارجي



في لغتنا العربية من أجل اللحاق والثبات، لأنّ التحديات القادمة لا تبقي على اللّغات الضعيفة.

فينبغي أن نتمثل الخصائص اللّغوية والوحدة السياسية والتراث وحيوية الفكر والإبداع الأدبي، وما يزر به اللسان العربي المبين في هذه اللّغة التي حباها الله بقرآنه، في أن تكون الرمز الحيّ المتغير من الداخل أولاً، ثم تتطور بتأثير التلاؤم مع ظروف المجتمع وتطور العصر حسب التأثيرات الخارجية التي تستوعبها عن دراية ووعي ثانياً، مثلما كانت في سالف زمانها سيدة اللّغات⁵⁰، والعزلة غير ممكنة وغير مقبولة والنماذج الثقافية والحضارية سمة العصر وقانونه. لذا ندعو إلى التفاعل مع العولمة أخذاً وعطاءً وإنّ الإسهام في العولمة هو الذي يجعل الفرد ليس نسخة للغير، بل هو الذي يؤدي إلى التفرد المثري لفصائل البشرية المخصب لعطائها، ولا يمكن تموضعها إلا كظاهرة ثقافية موجودة في إنسانيات دينية أو فلسفية تحرّك الضمائر إلى توحيد الإنسانية.

فيجب أن نعلم أنّ العالم يتغيّر في صيرورة متصاعدة، وما علينا إلا أن نسير في الركب ونساهم في ذلك، وننحي ما علق من أذهان الكثير، فالعرب لا يمكن أن يكونوا عصريين ماداموا متحجّرين في ثقافة بائدة، وهذا سيوجب عن السؤال الذي طرحه (زكي نجيب محمود) هل يمكن التوفيق بين أن يكون الإنسان عربياً يحمل هذه الوجهة من النظر، وأن يكون في الوقت نفسه معاصراً يتطوّر مع الزمان وتغيراته السريعة؟



فالعالم العربي على وجه الخصوص وناطقو اللغة بوجه عام يشاهدون اليوم تحدي اللغة العربية في المجتمع بفعل العولمة الذي يمسّ الوضع السيادي للغة العربية. فيجب أن تأخذ اللغة العربية مكانها وقوتها والشعور بقدرتها على استيعاب المنجزات الحضارية، وتبقى اللغة العربية حيّة ومنتجة وفاعلة وصامدة أمام قوى العولمة المختلفة، وقادرة على استيعاب المنجزات الحضارية وفاعلة في المجتمع، ومقبولة في المجالات المختلفة.⁵¹

ويمكننا أن نخلص إلى أن اللغة العربية لا يمكن أن تكون بحق قادرة على تحديات العولمة إلا بتحقيق ثلاثة أسس: أولاً ضرورة العودة بها إلى أصالتها، فكل بناء جديد يجب أن يؤسس على أصل متين وثابت، وثانيها إثبات قدرة اللغة العربية على التفاعل مع التجربة العلمية العالمية الحديثة واستيعابها للحضارة الغربية قديماً وحديثاً، وثالثها تفعيلها من أجل التعبير عن تطلعات وآمال الشعوب العربية بتحقيق وحدة قومية لها خصائصها المميزة.⁵²

فالموقف لا يحتمل الصمت، وليس يجدي معه محض الكلام. إننا أمام واقع تتحرك معطياته بوتائر متسارعة، ولا يمكن التعامل مع الوقائع إلا بوقائع مماثلة من الطينة أو المادة ذاتها. ولذلك يجب أن نسعى بمختلف الأطر والإمكانات والاتجاهات والوتائر من أجل موازنة المرحلة التاريخية الراهنة؛ مرحلة العولمة، والتعامل معها تعاملًا ندياً، يمكننا من الحفاظ على ذاتنا، إن كان يهمنّا أن تكون ذاتنا هي ذاتنا، ولم نعلم قط أن



ذاتاً، على مدى ما امتدَّ التاريخ البشري، رفضت أن تكون هي هي.

إذن فإنَّ المهمة الأولى الملقاة على عاتقنا الآن هي الحفاظ على ذاتنا؛ الحفاظ عليها لا الانغلاق عليها، كما سيفهم الكثيرون انطلاقاً من رؤاهم الموتورة. والحفاظ على الذات يتطلب معرفتها وفهمها. وعندما نعرف ذاتنا ونفهمها سنجد أنفسنا مرغمين على احترامها وإنصافها وتقديرها حقَّ قدرها، لأنَّ أمتنا كريمة عزيزة عظيمة معطاءة خلّاقة، لا تستحق الضعف ولا الذل ولا الهوان.

وإنَّ لغتنا العربية هي ركن ثابت من أركان شخصيتنا، فيحقُّ لنا أن نفتخر ونعتز بها. ويجب علينا أن ندود عنها ونوليها عناية فائقة. ويتمثّل واجبنا نحوها في المحافظة على سلامتها وتخليصها ممّا قد يشوبها من اللحن والعجمة. وعلينا أن لا ننظر إليها بوصفها مجموعة من الأصوات و جملة من الألفاظ والتراكيب، بل يتعيّن علينا أن نعتبرها كائناً حياً، فنؤمن بقوّتها و غزارتها و مرونتها، وقدرتها على مساهمة التقدم في شتى المجالات. كما تعدّ مقوماً من أهمّ مقومات حياتنا وكياننا، وهي الحاملة لثقافتنا ورسالتنا، والرابط الموحد بيننا والمكوّن لبنية تفكيرنا، والصلة بين أجيالنا، والصلة كذلك بيننا، وبين كثير من الأمم. فالقضية ليست قضية أفراد أو فئة من الناس، إنّها تحتاج إلى نظرة قومية سياسية علمية من الناحيتين اللغوية والثقافية، أو قلّ إنّ قضيتنا هذه تحتاج إلى تخطيط لغوي وتخطيط ثقافي وتخطيط روحي.



قائمة الهوامش:

- ¹ عبد العزيز محمد حسن، في تطور اللغة العربية، بحوث جمعية في الأصول والألفاظ والأساليب، مكتبة الآداب، الكويت، 2007، ص48
- ² هيثم بن جواد الحداد، العولمة اللغوية، مجلة البيان لندن، العدد 170، شوال 1422هـ، ص60-61.
- ³ عبد المالك بوحجرة، العربية هي لغة الكمبيوتر الطبيعية، جامعة جيجل، ط1، 2002، ص91
- ⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص88.
- ⁵ أحمد برقاي، سمير أمين وآخرون، الدولة الوطنية وتحديات العولمة في الوطن العربي، مكتبة مديولي، القاهرة، 2004، ص201.
- ⁶ أحمد بن نعمان، التعريب بين المبدأ والتطبيق، شركة دار الأمة، الجزائر، ط 2، 1998، ص118.
- ⁷ ينظر: فضيل دليو، التحديات المعاصرة العولمة الإنترنت الفقر اللغة، مخبر علم الاجتماع والاتصال، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2002، ص153.
- ⁸ ينظر: فضيل دليو، ص154.
- ⁹ فضيل دليو، ص156.
- ¹⁰ حنفي بن عيسى، من أجل خطة عربية في الترجمة، مجلة الثقافة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ع9، 1980، ص81، 82.
- ¹¹ بول كندي، القوى العظمى، ترجمة عبد الوهاب علوب، مركز ابن خلدون، القاهرة، ط1، دت، ص93.



¹² عبد الخالق عبد الله، العولمة جذورها وكيفية التعامل معها، عالم الفكر، الكويت، ع4، أكتوبر، ص39.

¹³ ينظر: صالح سالم زرنوقة، العولمة والوطن العربي، جامعة القاهرة، ط1، 2002، ص14.

¹⁴ ينظر: صالح سالم زرنوقة، مرجع نفسه، ص07.

¹⁵ مبروك غضبان، التصادم بين العولمة والسيادة حقوق الإنسان نموذجاً، مجلة البحوث والدراسات، جامعة الوادي، ع07، يناير، 2009، ص65-66.

¹⁶ ينظر: المرجع نفسه، ص66.

¹⁷ المرجع نفسه، ص67.

¹⁸ سفيان بن صالح الخراش، العولمة، دار بلنسية للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 1420هـ، ص07.

¹⁹ ينظر: عبد الخالق عبد الله، مرجع سابق، ص51.

²⁰ توماس جورجيسيان، فلتسقط العولمة الشرسة، مجلة الأهرام الاقتصادي، مصر أول مايو 2000، ص60-61.

²¹ صالح سالم زرنوقة، ص09.

²² ينظر: مرجع نفسه، ص10.

²³ عبد المالك بوحجرة، مرجع السابق، ص92.

²⁴ محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، القاهرة، دط، 2001، ص274.

²⁵ المرجع نفسه، ص275.



- ²⁶ ينظر: محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، ص272.
- ²⁷ ينظر: مرجع نفسه، نفس الصفحة.
- ²⁸ صالح بلعيد، مقالات لغوية، دار هومة، الجزائر، دط، 2004، ص30.
- ²⁹ محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، ص252.
- ³⁰ ينظر: عبد الصبور شاهين، قدرة العربية على استيعاب علوم العصر، مقال بمجلة الأمة، ص253.
- ³¹ محمد محمد داود، مرجع سابق، ص252.
- ³² صالح بلعيد، مقالات لغوية، ص30.
- ³³ ينظر: أحمد حقّي، محاضرات في أصول تدريس قواعد اللغة العربية، بغداد، 1984، ص9.
- ³⁴ ينظر: مصطفى حجازي، العولمة والتنشئة المستقبلية، مجلة جامعة البحرين، ع2، 1992، ص112.
- ³⁵ ينظر: صالح بلعيد، محاضرات في قضايا اللغة العربية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص301.
- ³⁶ عن جريدة الشرق الأوسط ليوم 4-02-1997.
- ³⁷ صالح بلعيد، محاضرات في اللغة العربية، ص335.
- ³⁸ ينظر: صامويل هنتنجتون، صدام الحضارات، نيويورك، دط، 1997، ص50.
- ³⁹ ينظر: علي حرب، صدمة العولمة في خطاب النخبة، السفير، لبنان، 6يونيو حيرزان 1998، ص199.



- ⁴⁰ عزت السيد أحمد، العولمة قراءة في تواصل الحضارات وصراعاتها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص148.
- ⁴¹ محمد أمين المفتي، توجهات مقترحة في تخطيط المناهج لمواجهة العولمة مؤتمر العولمة ومناهج التعليم المؤتمر القومي السنوي الحادي عشر للجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس 20، 22 يوليو الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس جامعة عين شمس، ص 09.
- ⁴² محمد أمين المفتي، ص09.
- ⁴³ ينظر: هادي نهر، اللغة العربية وتحديات العولمة، عالم الكتب الحديث، القاهرة، دط، 2010، ص24
- ⁴⁴ ينظر: محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، ص280.
- ⁴⁵ المرجع نفسه، ص273.
- ⁴⁶ محمد محمد داود، المرجع السابق، ص273.
- ⁴⁷ ينظر: المرجع نفسه، ص284.
- ⁴⁸ صالح بلعيد، محاضرات في اللغة العربية، ص302.
- ⁴⁹ المرجع نفسه، ص303.
- ⁵⁰ ينظر: المرجع نفسه، ص342.
- ⁵¹ ينظر: أسعد السحمراني، ويلات العولمة على الدين واللغة والثقافة، دار النفائس، بيروت، دط، 2002، ص81.
- ⁵² صالح بلعيد، محاضرات في اللغة العربية، ص343.